

المبحث الثاني

صفات الملائكة الخلقية
والخلقية

obeikandi.com

أولاً: صفاتهم الخَلقية:

دلت نصوص الكتاب والسنة بأن الملائكة لهم صفات خلقية منها:

١ - عِظْمُ خَلْقِهِمْ وَضَخَامَةُ أَجْسَامِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًأً أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

جاء في تفسير هذه الآية: أنهم غلاظ القلوب شداد الأبدان وهم من القوة بحيث لا تضرهم النار التي تذيب الحديد والحجارة^(١).

وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٥، ٦].
وصف لجبريل عليه السلام ذو مرة: أي ذو قوة وقيل: ذو منظر حسن، ولا منافاة بين القولين، فإنه ذو منظر حسن وقوة شديدة^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَئِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]. أي: أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر، وهو جبريل عليه السلام {ذِي قُوَّةٍ}، كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥ - ٦]، أي شديد الخلق، شديد البطش والفعل {عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}، أي له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة {مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} أي: له وجهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى {ثَمَّ أَمِينٍ} صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكي عبده ورسوله

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٩).

(٢) صحيح تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٩).

البشري محمداً ﷺ (١).

ومن السنة حديث عائشة - رضي الله عنها -: أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة (٢)، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب (٣)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» (٤) كان مقترح ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، وهو يدخل تحت أسلوب الاستئصال وقد نفذ في قوم نوح، و عاد، و ثمود، و قوم لوط، قال تعالى: {فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت: ٤٠].

ولكن النبي ﷺ رفض منهج الاستئصال، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وقرر الدخول إلى مكة ليوصل جهاده الميمون، فالنبي ﷺ أراد

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٤ / ٦ - ٣).

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (١ / ٣٧٥).

(٣) قرن الثعالب: هو قرن المنازل، ميفات أهل نجد، ويسمى الآن السيل الكبير.

(٤) البخاري رقم ٣٢٣١، مسلم رقم ١٧٩٥.

أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالاً من المسلمين، المقاتلين في سبيل الله، فنظره ﷺ كان مصوّب نحو المستقبل بصورة جلية، ولم يكن ذلك يعني الانسحاب من الحاضر^(١)، ومما يدل على ضخامة أجسام الملائكة وقوتهم حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله قال: «إذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»^(٢).

٢ - أجنحة الملائكة:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنٍ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) {إفاطر: ١}، أي: منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب»^(٥).

٣ - عِظْمُ سُرْعَتِهِمْ:

أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء وهو ينطلق بسرعة

(١) السيرة النبوية للصلابي (١ / ٣٧٦).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ١٥١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٤٦).

(٤) البخاري رقم ٦٠٤٥.

(٥) ابن حبان الإحسان رقم ١٣١٩، إسناده صحيح.

(١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة، أما سرعة الملائكة فهي فوق ذلك، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر، كان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة سبحانه وتعالى، واليوم لو وجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء، فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع^(١).

٤ - عدم حاجة الملائكة للأكل والشرب:

قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّارَاءَ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾} [هود: ٦٩، ٧٠]، وذلك أن الملائكة لا همة لهم في الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه، فهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به.

وفي آيات أخرى قال تعالى: {هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾} [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

وكون الملائكة لا يأكلون الطعام أمر أطبق عليه العلماء، قال القرطبي: قال علماؤنا: ولم يأكلوا لأن الملائكة لا تأكل^(٢).

٥ - لا يوصفون بالذكورة والأنوثة:

ميز الله عز وجل الملائكة بأنهم جنس يخلق كل واحد منهم بذاته، ولا

(١) عالم الملائكة الأبرار عمر الأشقر ص ٢٢.

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٦٨).

يوصفون بذكورة ولا أنوثة وهم باقون على أصل خلقتهم التي خلقهم الله عليها، هذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة^(١).

قال تعالى: { فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ } ١٤٩ ﴿ ١٤٩ ﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ ١٥٠ ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ ١٥١ ﴾ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ١٥٢ ﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ ١٥٣ ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ ١٥٤ ﴾ { [الصفافات: ١٤٩ - ١٥٤].

ذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب:

أ - جعلوهم بنات الله، فجعلوا الله ولداً تعالى وتقدس.

ب - وجعلوا ذلك الولد أنثى.

ج - ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس.

وكل منها كافٍ للتخليد في نار جهنم^(٢).

وقال تعالى: { وَجَعَلُوا لَهُ، مِنْ عِبَادِهِ، جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ } ١٥ ﴿ ١٥ ﴾ أَمْ أُتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿ ١٦ ﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿ ١٧ ﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿ ١٨ ﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿ ١٩ ﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ { [الزخرف: ١٥ - ٢٠].

والمقصود إيضاحه كذبهم وبيان جعلهم في نسبة الأولاد إلى الله سبحانه

ثم حكمهم بأن الملائكة إناث من غير دليل والجعل هنا بمعنى القول والحكم.

(١) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب عقيل ص ٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢).

تقول: جعلت زيداً أعلم الناس، أي: حكمت له بذلك {أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ} أي: أحضروا حالة خلقهم حتى حكموا بأنهم إناثٌ^(١).

وقد جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أ - جعلوا الله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.
ب - دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

ج - عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل، بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء.

س - احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً، فإنه تعالى قد أنكر عليهم أشد الإنكار فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه^(٢).

٦ - كلام الملائكة:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠].

قال رسول الله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته وطول ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيوك تحيتك وتحية

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ١٢٥).

ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله» (١). والملائكة يكلم بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبا: ٢٣].

في هذه الآية إثبات أن الملائكة يتكلمون ويفهمون ويعقلون لأنهم يسألون {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} ويجابون {قَالُوا الْحَقُّ} ودلت الآية كذلك أن لهم قلوباً يصيبها الخوف والوجل من الله (٢).

والملائكة تكلم الناس بحسب لغاتهم ولا يحتاجون إلى ترجمان كما حصل مع الأنبياء من بني إسرائيل وغيرهم وكما حصل مع نبينا محمد ﷺ.

- وهم يكلمون الناس في قبورهم كما هو معلوم في فتنة القبر.

- ويكلمون الناس يوم القيامة بالبشارة والندارة.

- ويكلمون أهل الجنة ويسلمون عليهم.

- ويكلمون أهل النار ويبشرونهم بالعذاب.

- والنصوص في هذه المعاني كثيرة مشهورة.

والحاصل أن من صفات الملائكة الجسدية الكلام وهي صفة كمال ولا شك فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ووصفهم عليه السلام بذلك (٣).

٧ - جمال الملائكة:

خلقهم الله على صور جميلة كريمة، قال تعالى في جبريل: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ

الْقُوَى} ذُورَةً فَاسْتَوَى} (٦) [النجم: ٥ - ٦].

(١) البخاري رقم ٣١٤٨، مسلم رقم ٢٨٤١.

(٢) القول المفيد لابن عثيمين (١/٣٩٥).

(٣) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب عقيل ص ٧٥.

قال ابن عباس: {ذُو مِرَّةٍ} ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن، وقيل: ذو قوة. ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر ما قالته النسوة في حق يوسف الصديق عندما رأينه: {فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَوَقَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: ٣١] (١).

٨ - للملائكة قدرات خارقة:

بما وضع الله فيهم من القدرات العجيبة فمنهم من يحمل عرش الرحمن كما قال تعالى: {وَأُنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةٍ} (١٦) {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِذٍ مُّثَنِيَةً} (١٧) [الحاقة: ١٦، ١٧]. ومنهم من ينفخ نفخة يصعق لها من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (٦٨) [الزمر: ٦٨] (٢).

٩ - لا يملون ولا يتعبون:

فالملائكة الكرام يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، بلا كلل ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصف الملائكة: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} (٢٠) [الأنبياء: ٢٠]. ومعنى لا يفترون لا يضعفون (٣).

١٠ - قدرة الملائكة على التمثل والتشكل:

مكن الله الملائكة من التصور بغير صورتهم التي خلقوا عليها وقد دلت

(١) دراسات في التفسير الموضوعي زاهر الألمعي ص ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧.

النصوص الكثيرة على ظهور الملائكة عليهم السلام للأنبياء وغيرهم بصورة البشر، ومن ذلك قوله تعالى: {هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

وهؤلاء الضيوف أنفسهم ذهبوا إلى لوط عليه السلام فلما رآهم خاف وضاق صدره لما يعرف من فحش قومه وسوئهم، كما قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} (٧٨) [هود: ٧٧، ٧٨].

فقد تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر (١).

وقال تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مَكَانًا شَرْقِيًّا} (١٦) فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} (١٩) [مريم: ١٦ - ١٩].

وهذا المرسل في هذه الآية هو جبريل عليه السلام كما سبق وأن الروح من أسمائه عليه السلام.

والشاهد هنا تمثله وتشكله في صورة البشر، قال ابن كثير رحمه الله: {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} أي: على صورة إنسان تام كامل (٢).

وقد سبق نزول جبريل عليه السلام بروح عيسى عليه السلام إلى مريم

(١) في الملائكة المقربين ص ٧٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٥).

ونفخه هذه الروح في جيبها سبق هذا بشارة الملائكة لمريم في قوله تعالى:
 { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ } [آل عمران: ٤٥ - ٤٧].

وهذه الشارة كانت مشافهة لمريم من الملائكة ولكن النصوص لم تدل
 على كيفية هذه المشافهة وكيف كانت صورهم لما بشروها ومن من
 الملائكة بشر مريم بذلك ولكن النصوص تدل على أن الذي نزل بروح
 عيسى هو جبريل عليه السلام وأنه تمثل لها رجلاً سويًا ونفخ روح
 عيسى في جيبها^(١).

وجاء في السنة وقائع كثيرة لتمثل الملائكة بشراً أشهرها حديث
 جبريل عليه السلام وفيه: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع
 علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا
 يعرفه منا أحد..» وقال في آخره: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله
 ورسوله أعلم، فقال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(٢).

فتمثل جبريل بصورة رجل شاب أسود الشعر بثياب بيضاء نظيفة
 وقد رآه الصحابة - رضي الله عنهم - بهذه الصورة فتعجبوا من نظافته
 مما يدل على أنه لم يقدم من سفر ومن عدم معرفتهم له لو كان من أهل
 المدينة وزال تعجبهم لما أخبرهم ﷺ أنه جبريل، وربما تمثل عليه السلام

(١) في الملائكة المقربين ص ٧٧.

(٢) البخاري (١ / ٢٧) رقم ٥٠.

بصورة دحية الكلبى^(١)، كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنه - وفيه: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية^(٢)، ودحية مشهور بجماله وتشبه جبريل به دليل على جمال جبريل عليه السلام^(٣)، وتمثل الملائكة بصورة البشر قد يحدث مع غير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فمن ذلك، حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاه له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»^(٤).

وقد يكون هذا التمثيل بصورة غير جميلة ابتلاءً وامتحاناً من الله لمن تمثلوا له، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر، شك اسحاق - إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر - قال: فأعطي ناقة عشراء قال: فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأعطى

(١) دحية الكلبى صحابي مشهور وأول مشاهده الخندق.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٧٨ مسند أحمد (٢ / ١٠٧).

(٣) في الملائكة المقربين ص ٧٩.

(٤) مسلم (٤ / ١٩٨٨) رقم ٢٥٦٧.

شعراً حسناً، قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملاً، ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والداً فأنتج هذا وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت».

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته الله.

فقال: «أمسك مالك فإنما ابتليتكم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك»^(١).

ففي هذا الحديث دليل على تمثل الملائكة بصورة البشر وقد تكون هذه الصورة على صور شتى جميلة وقبيحة وعلى قدرتهم مخاطبة الناس

(١) البخاري رقم ٣٢٧٧، مسلم رقم ٢٩٦٤.

بلغاتهم وفيه أن الملائكة قد تكلم غير الأنبياء وليس كل من كلمته الملائكة يعد نبياً (١).

ثانياً: أخلاق الملائكة:

١- كرام بررة:

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة، قال تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ}

[عبس: ١٥، ١٦].

أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم طاهرة كاملة ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد (٢)، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران» (٣).

والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والله عز وجل قد جعل ملائكته كذلك ورزقهم هذا الشرف العظيم لقربهم منه سبحانه وتعالى ولأنهم يقومون بمهام عظيمة لا يقوم بها إلا من اتصف بهذه الصفات، قال تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} [الأنبياء: ٢٦] أي جعلهم كراماً (٤).

٢- البر:

بالكسر، الخير والفضل، والبار: الصادق التقى، وهو خلاف الفاجر،

(١) في الملائكة المقربين ص ٨١.

(٢) عالم الملائكة الأبرار د. عمر الأشقر ص ١٩.

(٣) البخاري (٤/ ١٨٢٢).

(٤) في الملائكة المقربين ص ٩٥.

وجمعه بررة^(١). والبر التوسع في الخير وجمع بار أبرار وبررة، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾} [الانفطار: ١٣].

وقال في صفة الملائكة {كِرَامٌ بَرَرَةٌ} فبررة خص بها الملائكة في القرآن من حيث أنه أبلغ من أبرار فإنه جمع بر، وأبرار جمع بار، وبرُّ أبلغ من بار كما أن عدلاً أبلغ من عادل^(٢).

والبر يطلق على معنيين:

أحدهما: معاملة الخلق والإحسان إليهم.

الثاني: يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة^(٣).

والظاهر أن كلا المعنيين موجود في الملائكة عليهم السلام فهم محسنون في عبادتهم مطيعون لله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم محسنون لخلق الله محبوبون للمؤمنين وإحسانهم لبني آدم عظيم فجزاهم عنا أفضل الجزاء وأحسنه، ومن صور إحسانهم لنا^(٤):

أ - دعاؤهم واستغفارهم لنا:

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾} [الأحزاب: ٤٣].

وهذا من أعظم الإحسان لنا، ودعاؤهم واستغفارهم سيكون له أثر عظيم في هدايتنا وثباتنا على الحق إن شاء الله.

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٤٣.

(٢) المفردات ص ٤١.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٣٨.

(٤) في الملائكة المقربين ص ٩٦.

وقال تعالى: {الَّذِينَ يَمْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾} [غافر: ٧ - ٩].

ب - ومن إحسانهم لنا شفاعتهم لأهل التوحيد يوم القيامة:

قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨].

٣- التواضع وعدم التكبر:

- قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾} [النساء: ١٧٢].

- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْبَحُونَهُ، وَلَهُ يُسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾} [الأعراف: ٢٠٦].

- وقال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾} [الأنبياء: ١٩].
والنصوص في هذا المعنى كثيرة (١).

٤- الحياء:

الحياء خلة شريفة وخلق عظيم يمنع صاحبه من ارتكاب القبائح

(١) المصدر نفسه ص ٩٨.

ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها^(١)، وهو من خصال الإيمان كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياة شعبة من الإيمان»^(٢).

ومما يدل على اتصاف الملائكة بهذا الخلق الشريف ما روى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضجعا في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه... فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتس له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتس له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: «ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟»^(٣).

٥- النظام:

الملائكة منظمون في عبادتهم وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة؟» قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال: «يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف»^(٤).

وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة^(٥).

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} {٢٢} [الفجر: ٢٢].

(١) في الملائكة المقربين ص ٩٩.

(٢) البخاري رقم ٩، مسلم رقم ٣٥.

(٣) مسلم (٤/١٨٦٦) رقم ٢٤٠١.

(٤) رواه الجماعة إلا البخاري نقلاً عن عالم الملائكة ص ٢٤.

(٥) صحيح مسلم، علم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٢٤.

ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبا: ٣٨] والروح جبريل (١).

٦- يجون ويبغضون:

فيحبون من أحبه الله تعالى، ويبغضون من أبغضه الله، كما دل على ذلك صحيح السنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، قال: ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل، فقال: يا جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض» (٢).

٧- إهم يتأذون مما يتأذى منه ابن آدم:

كالروائح الكريهة، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرات فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال: «من أكل من هذه الشجرة المنته فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس» (٣).

٨- إهم لا يعلمون الغيب:

إلا ما أعلمهم الله تعالى، حيث كان جوابهم لربهم اعترافهم بعدم علمهم شيئاً لم يعلمهم الله تعالى إياه، قال تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ٢٤.

(٢) مسلم رقم ٢٦٣٧، البخاري رقم ٦٠٤٠.

(٣) مسلم رقم ٥٦٤.

مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ [البقرة: ٣٢] (١).

٩- إهم عباد الله، دائمو الطاعة والخوف منه:

لا يعصونه فيما أمر، كما أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره ومن بعد
إذنه، قال تعالى مبيناً ذلك: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسْحِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْرُونَ} [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

فالملائكة ليسوا كالإنس، فليس لهم إرادة حرة أو مشيئة، كما أنهم لم
يخلقوا للابتلاء، بل الحكمة من خلقهم: أنهم يعبدون الله ويسبحونه وله
يسجدون ولكنهم مع ذلك مأمورون بالعبادة والطاعة، قال تعالى: {يَخَافُونَ
رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾} [النحل: ٥٠].

فهم إذن مكفون، ولكن تكليفهم يختلف عن تكليف الإنس والجن،
فبينما الإنس والجن لهم خيار وتكليفهم ابتلاء، وقد يطيعون ويعصون
ويغالبون أهواءهم وشهواتهم أو يتبعونها، ومن ثم يثابون على طاعتهم
ويعاقبون على معصيتهم، فإن الملائكة لا خيار لها، لأنها جبلت على
الطاعة، ولا استطاعة لها للمعصية، ومن ثم فإن عملهم وطاعتهم،
كالتنفس والأكل والشرب بالنسبة للإنسان عليه فلا مثوبة لهم عليه، فهم
يؤمرون فيطيعون، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾} [البقرة: ٣٤] (٢).

* * *

(١) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٢.

(٢) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٢.